

الطبيب النفسي الإيقاع الحيوي التطوري (180)

الفصام: مغارة الضياع ووعود الإبداع

مسيرة الفصام

النفسمراضية (السيكوباثولوجية) (4)

(تابع) المرحلة الثالثة:

مرحلة ما قبل البداية (2)

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD020417.pdf>

بروفيسور يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2017/04/02

السنة العاشرة - العدد: 3501



مقدمة:

يلاحظ المتابع لهذا الموضوع أن العنوان قد أضيفت له صفة "النفسمراضية"، بمعنى أن هذه المراحل ليست كإكلينكية بشكل مباشر، بل هي تصف عملية تطور المراحل التي تمهد لظهور المرض وحتى إعلانه، بمعنى أن التغيرات الموصوفة ليست وصفا لمظاهر سلوكية معينة تصل إلى درجة تحديد الأعراض، وإنما هي وصف لحركية الإضرابية لتطور المرض منذ الاستعداد إلى الاستهداف إلى البداية فما بعدها، وأحب التذكرة أن الكتاب الأم الذي أقتطف منه متن هذه السلسلة كان عنوانه هو: "دراسة في علم السيكوباثولوجي" (1979) (1)، ولو تأخر صدوره حتى الآن (2017) لفضلت أن يكون عنوانه "معالم فنية في حركية النفسمراضية"، فالجاري الآن أن عدد متزايدا من العاملين في هذه المهن النفسية قد ازدادوا اقتناعا بأنهم يمارسون حرفة هي أقرب إلى الفن، والنقد، والإبداع، وفي نفس الوقت هي تستلهم كل معطيات العلم والملاحظة (بمشاركة الوعي) والمسئولية.

لكل ذلك تُعدّل عنوان هذه النشرة إلى العنوان الحالي:

ثم نواصل:

(تابع): بعض معالم التغير النوعي في السلوك أو الشخصية:

مقدمة:

عرضنا أمس المعالم العامة لهذه المرحلة وكيف أنها ليست بداية الفصام بقدر ما هي بداية حركية التفكير المنذر بالتطور نحو الفصام (وغيره)، لعلنا نلحقه إذا أحسنّا الاستماع إليه، وفيما يلي بعض معالم ذلك:



(1) "النقلة السرية": "عادة لا يدرك الشخص متى بدأ

التحول نوعيا بالذات، أو كميا مبالغا فيه حتى يمكن اعتباره:

نوعيا، وقد لا يدرك الآخرون المحيطون به ذلك أيضا، إلا أن

أن التغيرات الموصوفة ليست وصفا لمظاهر سلوكية معينة تصل إلى درجة تحديد الأعراض، وإنما هي وصف لحركية الإضرابية لتطور المرض

منذ الاستعداد إلى الاستهداف إلى البداية فما بعدها، وأحب التذكرة أن الكتاب الأم الذي أقتطف منه متن هذه السلسلة كان عنوانه هو: "دراسة في علم السيكوباثولوجي" (1979) (1)

الجاري الآن أن عدد متزايدا من العاملين في هذه المهن النفسية قد ازدادوا اقتناعا بأنهم يمارسون حرفة هي أقرب إلى الفن، والنقد، والإبداع، وفي نفس الوقت هي تستلهم كل معطيات العلم والملاحظة (بمشاركة الوعي) والمسئولية.

الذي لم يره منذ مدة، ثم رآه في هذه الفترة قبيل البداية، قد يلاحظ ذلك أكثر من المحيطين به، لكننا رصدنا في كثير من الحالات أنه بالرغم من أن المريض حين يُسأل في الأول عن بداية الشكوى أو المعاناة لا يشير إلى هذا التحول عادة على أنه البداية، لكن بعد ظهور المرض صراحة، وخاصة مع عمل علاقة علاجية جيدة، كثيرا ما يرجع إلى هذه البدايات التي لم يعتبرها بداية في أول المراحل، وقد يحكى عن ذلك بالتفصيل، وكيف أنه تغير منذ كذا ، وأحيانا بالتحديد الدقيق، وأنه "الآن" يتذكر كيف اختلفت آراؤه بالنسبة لعمل ما، أو بالنسبة لعلاقة ما قبل "التوقف الكامل" أو "الكسر" أو "الانهيار" أو "الرؤية" أو "الحادث" أو "الذي جري"، ولكن المهم في هذه الظاهرة (ظاهرة تحديد الوقت بموعد سابق، وهي التي أطلقت عليها اسم ظاهرة "سبق التوقيت (Autedating)", "أنها تحكى عن بداية "تغيّر ما" لو سئل المريض عنه في حينه وكانت إجابتة سلبية كما ذكرنا.



(2) الخبرة التي لا توصف" = الشعور

" (2) The vague feeling: الغامض

قد يدرك المريض في هذه الفترة السابقة للبداية أن اختلافا طفيفا قد حدث، ولكن أهم ما يميز هذا الإدراك هو وصفه هذا الاختلاف بأنه "لم يَعْتَدُه من قبل"، "ليس

مثل ما سبق"، "أى: "إنه مختلف"، "إنه غير"... "إنه عجيب لا يوصف... الخ، وهذا الاختلاف لا يصل إلى درجة التغيّر النوعي المحدد، ولكنه اختلاف حادث لا شك في حدوثه، برغم عجز المريض عن وصفه تحديدا أو ربما يصفه بصفات سرعان ما يغيرها إلى أوصاف مختلفة ، وهكذا.

(3) فوران الأحلام : قد يصاحب هذه الفترة بالذات تغيّر في كم الأحلام وفي نوعها كذلك، فهناك من الأشخاص المهيئين للفصام، وخاصة من تزايد عندهم الكبت بشكل ظاهر، من يقرّ أنه كان قبل هذه المرحلة "لا يحلم أبدا"!! (بمعنى أنه لا يتذكر الحلم أصلا، لأن تعبير "أنا لا أحلم" غير صحيح فسيولوجيا أصلا)، وهذه الظاهرة (إنكار الحلم) توجد عادة في أنواع خاصة من اضطرابات نمط الشخصية، وهو تعبير يدل على جرعة هائلة من الكبت لا تسمح بإعلان ما يحدث بالداخل حتى أثناء النوم (الحلم) ولا حتى بإشارة إلى ما يتبقى قرب السطح، ولو لجزء يسير بَعِيدَ اليقظة، ولو تغيرت معالمه وهو يستيقظ(3) ،) ومثل هذا الشخص يأتي في هذه المرحلة، وقد يقول أنه "بدأ يحلم"، وقد يعلق على ذلك بأن "هذا أمر غريب عليه"، وأنه "مندهش منه"، أو أنه "خائف من عواقبه"، دون إبداء أسباب لذلك.



التعبير الذي استعملناه هنا وهو "فوران الأحلام" لا يشير فقط إلى تنشيط حركية الأحلام، أو غزارتها، وإنما هو يشير أيضا إلى تغيّر مؤكد في حدة نشاط ظاهرة الحلم، مع اختلاف في نوعيته عن ذي قبل (ربما بما يقابل "التغير

النبهة السرية": محادثة لا يدرك الشخص متى بدأ التحول نوعيا بالذات، أو كميا مبالغا فيه حتى يمكن اعتباره: نوعيا. وقد لا يدرك الآخرون المحيطون به ذلك أيضا

لكن بعد ظهور المرض صراحة، وخاصة مع عمل علاقة علاجية جيدة، كثيرا ما يرجع إلى هذه البدايات التي لم يعتبرها بداية في أول المراحل، وقد يحكى عن ذلك بالتفصيل، وكيف أنه تغير منذ كذا ، وأحيانا بالتحديد الدقيق

أهم ما يميز هذا الإدراك هو وصفه هذا الاختلاف بأنه "لم يَعْتَدُه من قبل"، "ليس مثل ما سبق"، "أى: "إنه مختلف"، "إنه غير"... "إنه عجيب لا يوصف... الخ، وهذا الاختلاف لا يصل إلى درجة التغيّر النوعي المحدد، ولكنه اختلاف حادث لا شك في حدوثه، برغم عجز المريض عن وصفه تحديدا

فوران الأحلام : قد يصاحب هذه الفترة بالذات تغيّر في كم الأحلام وفي نوعها كذلك، فهناك من الأشخاص المهيئين للفصام، وخاصة من تزايد عندهم الكبت بشكل ظاهر، من يقرّ أنه كان قبل هذه المرحلة "لا يحلم أبدا"!!

هذه الظاهرة (إنكار الحلم) توجد محادثة في أنواع خاصة من اضطرابات نمط الشخصية، وهو تعبير يدل على جرعة هائلة من الكبت لا تسمح

النوعى“ الذى ذكرناه فى (فقرة 2) ويحدث هذا فى هذه الفترة بشكل مختلف جدا من فرد إلى فرد، ولكن هناك أحلام أكثر تواترا نسبيا تظهر فى هذه الفترة مثل: أحلام الزلازل وأحلام المطاردة وأحلام الامتحان الذى لم يكتمل، وأحلام الوقوع من شاهق (وليس بالضرورة أحلام الطيران)، وأحلام التقطيع الجسدى، وأحلام الحيوانات المفترسة، والمنقرضة، وأحلام الأشكال المشوهة والبشعة، وأحلام الأجنّة الميتة، وأحلام النعوش، وأحلام الصحارى والأراضى البعيدة بلا حدود، وكل ذلك ليس مرادفا للكابوس تماما) وليس المهم فى الأمر تفسير هذه الأحلام بأى مرجع تفسيري: لا “فرويدى”، ولا “ابن سيرينى” ولا غيرهما، وإنما المهم هو فى دلالة ما تعلن الظاهرة نفسها من حدوث التغيير النوعى. ودلالاته التى يمكن أن نذكر بعضها منها كما يلي:



(أ) إعلان أن مستوى اللاشعور (الواقعالداخلى/باقي
الأمخاخ) قد اقترب من السطح
(ب) وأنه مازال أقرب إلى مادته الخام فى تجزيياته
وتقطيعاته وغرابته وشدوذه

(ج) وأن ظاهر الوعى السائد غير قادر على التعامل مع هذا الذى اقترب، أو على تنظيمه أو استيعابه، بمعنى أن محاولة التحكم فى كل ذلك قد فشلت نسبيا.

هذا وقد يحاول المريض إخماد هذه الحركة، أو إخفائها حتى عن نفسه: “بالإفراط فى النوم”، فى هذه المرحلة.

ولكن هذه الدلالات كلها لا تؤثر فى الصورة الكلينيكية مباشرة، إذ نظل التفاعلات الظاهرة والسلوك الواعى “عصائيا” أو قريبا من العصائبية، أو “عاديا” حسب الوصف المتاح (وليس فصاميا أو ذهانيا).

4)) “المحاولة التعويضية”: تتصف هذه الفترة أيضا - تلقائيا أو نتيجة لإرادة شبه واعية - بظهور بعض السلوك العادى التعويضى، بمعنى أن نجد الشخص فى هذه الفترة - رغم ظهور بعض معالم الأعراض العصائبية الغريبة، وقد اختلف عن ذى قبل بشكل لا يخفى، نجده مثلا:

أ) قد أقبل على عمله بشكل مفرط “فجأة.”

ب) (أو) : قد أخرج عملا كان مؤجلا تأجيلا بلا مبرر كافٍ وقام بإنجازه.

ج) (أو) : قد بدأ مشروعا لتحسين أحواله الاقتصادية أو التحصيلية.

د) (أو) : قد حاول إعادة تنظيم علاقاته مع أسرته أو من وحوله .

هـ) (أو) : قد قام بوضع الخطط الجديدة لمرحلة جديدة من حياته.

و) (أو) : قد بدأ فجأة فى الخطوات الأولى لمشروع مختلف.

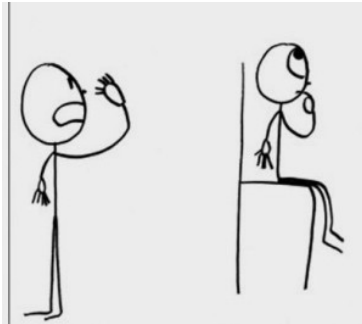
بإعلان ما يحدثه بالداخل حتى أثناء النوم (الحلم) ولا حتى بإشارة إلى ما يتبقى قرب السطح. ولو لجزء يسير بَعِيدَ اليقظة، ولو بتغيرته معالمه وهو يستيقظ

التعبير الذى استعملناه هنا وهو “فوران الأحلام” لا يشير فقط إلى تنشيط حركية الأحلام، أو غزارتها، وإنما هو يشير أيضا إلى تغيير مؤكد فى حدة نشاط ظاهرة الحلم، مع اختلافه فى نوعيته عن ذى قبل

هناك أحلام أكثر تواترا نسبيا تظهر فى هذه الفترة مثل: أحلام الزلازل وأحلام المطاردة وأحلام الامتحان الذى لم يكتمل، وأحلام الوقوع من شاهق (وليس بالضرورة أحلام الطيران)، وأحلام التقطيع الجسدى

ليس المهم فى الأمر تفسير هذه الأحلام بأى مرجع تفسيري: لا “فرويدى”، ولا “ابن سيرينى” ولا غيرهما، وإنما المهم هو فى دلالة ما تعلن الظاهرة نفسها من حدوث التغيير النوعى. ودلالاته

أن هذه الإيجابية أيضا هى مؤشر على أننا ما زلنا قبل البداية، وأننا فى المرحلة المفترقة الأولى بالرعاية، وأن التنظير الذى يضع احتمال الفصام وسط حركية الوجود هو تنظير مشروع ومفيد



وكل هذه النشاطات تعتبر نشاطات تعويضية جيدة في محاولة كبح جماح الحركة الداخلية الزاحفة واحتمال استيعابها، ولها أهميتها الكلينية والنفسمراضية، ونلاحظ كيف أن أغلبها يعد إيجابيا ومفيدا، لكن برغم ذلك قد يكون مُستَغْرِبًا، إما لتوقيتها، أو لحجمها، أو غير ذلك، فوجبت الإشارة للمعالج إلى ضرورة الوعي بتعدد معانيه ومساراته حسب الاستعداد، وفرص الاستيعاب، والاحاطة والرعاية في هذه المرحلة!

كما أن هذه الإيجابية أيضا هي مؤشر على أننا مازلنا قبل البداية، وأننا في المرحلة المفترقية الأولى بالرعاية، وأن التنظير الذي يضع احتمال الفصام وسط حركية الوجود هو تنظير مشروع ومفيد

(5) “مساومات إعادة النظر ثم التراجع”: قد تساور المريض في هذه الفترة بعض الأفكار التي توحى له بإعادة النظر في “حياته” أو “معتقداته” أو “أهدافه”، وعادة ماتمر هذه الأفكار في هذه الفترة مرورا عابرا يقابلها أغلب المرضى بمزيد من اعتقاد ما هم معتقدونه فعلا، قد يصل إلى مزيد من تقديس الأهداف التي هي أهدافهم سابقا، وهكذا. وأحيانا ماتتطور هذه الحالة إلى بعض مظاهر الوسواس الاجتراري Ruminative “أو القهرى، ولكنه يأخذ شكلا متقطعا، ولا تأخذ المقاومة والتوتر شكل التكرار المألوف.

(6) “التهيج الجنسي الغريب والمتنوع”: وقد يصاحب هذه المرحلة تغير في النشاط الجنسي حسب الشخصية، والثقافة السائدة، والاختلافات الفردية، وعادة ما تكون الإثارة عامة وشعورية بعكس المرحلة التي تسبق ذلك، حيث كانت الدفاعات تتناول مثل هذه الإثارة بما يتيسر من كبت أو أى من الحيل الأخرى، وفي وصف هوك Hoch (4) المبدئى لهذه المرحلة باعتبارها “الفصام شبه العصابي” أكد على ما أسماه الجنسية الشاملة، Pan-sexuality جنبا إلى جنب مع العصابية الشاملة Pan-neurosis والقلق الشامل (Pan-anxiety) وهذا يدخل ضمن التهيج على أكثر من مثير، وإن كنت في خبرتى لم ألاحظ ظهور الجنسية المثلية في هذه المرحلة بشكل خاص، ولكن قد ينشغل المريض بالخوف منها، ولكن بطريقة عابرة.

(7) “الخوف العارم الغامض المتنوع”: في هذه المرحلة أيضا قد يتغير شكل الخوف المعتاد، فبدلا من أن يكون الشخص خائفا من مجهول متماوج كما هو الحال في عصاب القلق (5)، وبدلا من أن يكون الخوف محددًا من موضوع خارجي كما هو الحال في الرُّهاب، يحتد هذا أو ذلك ويضاف إليه وصف الخوف بأنه غريب غير معتاد، أو حاد مُنْقَضٍ، أو مجهول مهدّد، وكثيرا ما يكون خوفا من الجنون أو من الضياع أو من الاختفاء (وليس بالضرورة بمعنى اختفاء بالموت.)

وبعد

كل ذلك ونحن لم نبدا الفصام بعد ، فيا ترى كيف يبدأ؟
أبقوا معنا.

مساومات إعادة النظر ثم التراجع”: قد تساور المريض في هذه الفترة بعض الأفكار التي توحى له بإعادة النظر في “حياته” أو “معتقداته” أو “أهدافه”

عادة ماتمر هذه الأفكار في هذه الفترة مرورا عابرا يقابلها أغلب المرضى بمزيد من اعتقاد ما هم معتقدونه فعلا، قد يصل إلى مزيد من تقديس الأهداف التي هي أهدافهم سابقا، وهكذا

أحيانا ماتتطور هذه الحالة إلى بعض مظاهر الوسواس الاجتراري Ruminative “أو القهرى، ولكنه يأخذ شكلا متقطعا، ولا تأخذ المقاومة والتوتر شكل التكرار المألوف

“التهيج الجنسي الغريب والمتنوع”: وقد يصاحب هذه المرحلة تغير في النشاط الجنسي حسب الشخصية، والثقافة السائدة، والاختلافات الفردية، وعادة ما تكون الإثارة عامة وشعورية بعكس المرحلة التي تسبق ذلك

قد يتغير شكل الخوف المعتاد، فبدلا من أن يكون الشخص خائفا من مجهول متماوج كما هو الحال في عصاب القلق (5)، وبدلا من أن يكون الخوف محددًا من موضوع خارجي كما هو الحال



في الرُّهاب، يحدث هذا أو ذلك ويضاف إليه وصفه الخوف بأنه غريب غير معتاد، أو حاد مُنْقَضٌ، أو مجهول مهدد، وكثيراً ما يكون خوفاً من الجنون أو من الضياع أو من الاختفاء

- [1] يحيى الرخاوى ، "دراسة في علم السيكوباتولوجي"، دار عطوة (القاهرة)، 1979
- [2] من ديوان سر اللعبة (المتن الشعري لكتابي "دراسة في علم السيكوباتولوجي" .. أحكى في صمت عن شيء لا يُحكى، عن إحساسٍ ليس له إسمٌ ، إحساس يفقد معناه، إن سكن اللفظ الميت، "...."
- شيء يتكور في صدري، يمشى بين ضلوعي، ... إلخ
- [3] انظر كتاب الأحلام "عن طبيعة الحلم والإبداع" دراسة نقدية، أحلام فترة النقاهاة، نجيب محفوظ، دار الشروق، 2011

[4]- Hoch, P.H. and Polatin, P. (1949) Pseudoneurotic forms of schizophrenia. Psychiatric Quarterly, 23: 248-276.

- [5] انظر نشرات **30/7/2016** ، **نشرة 2016/7/31**

*** **

مؤسسة علم النفس العربيّة

Arab Foundation Of Psychological Sciences

<http://arabpsynet.com/>

<http://www.arabpsyfound.com/>

الدوريات والاصدارات و المعاجم

اصدارات معجميّة

المعجم "المُوسَّح" في علم وطب النفس

اصدار عربي - اصدار فرنسي - اصدار انكليزي

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=28&controller=category&id_lang=3

*** **

المعجم "النفساني" في العلم والطب

اصدار عربي - اصدار فرنسي - اصدار انكليزي

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=46&controller=category&id_lang=3

المعجم "الوجيز" في علم وطب النفس

اصدار عربي - اصدار فرنسي - اصدار انكليزي

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=31&controller=category&id_lang=3

*** **

المعجم "المتص" في علم النفس الجنسي

اصدار عربي - اصدار فرنسي - اصدار انكليزي

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=30&controller=category&id_lang=3

*** **

المعجم "المتص" في الاضطرابات الوجدانية

اصدار انكليزي

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=237&controller=product&id_lang=3

*** **

موسوعة "الأعلام" في العلوم النفسية - حرفه الألف (الجزء 1)

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=35&controller=category&id_lang=3